

التحديات الخارجية التي تواجه اللغة العربية وأثر ذلك على تعلمها لغة ثانية.

*External challenges facing Arabic language and their
impact on its learning as second language.*

أسماء بن دادو.

جامعة لوئيسي علي؛ مخبر اللغة العربية وآدابها؛ البليدة 2 (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: ea.bendadou@univ-blida2.dz

asmaaae90@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/09/15؛ تاريخ القبول: 2024/11/16؛ تاريخ النشر: 2024/12/15.

الملخص:

تعدّ اللغة العربيّة لغة إنسانيّة تميّز بخصائص فريدة تجعل لها مكانة عالية بين اللغات العالميّة، ممّا جعل الكثير من المتعلّمين غير الناطقين بها يرغبون في تعلّمها لأغراض معيّنة، لكنّها تعرّضت لأزمة وهجوم خارجيين، ومحاولات عديدة للطعن فيها ممّا أثر ذلك على تعلّمها لغة ثانية. لذلك تهدف هذه الدراسة إلى خدمتها والتّعرف على أهمّ التّحديات الخارجيّة التي واجهتها، وكان لها أثر في تشكيل صورتها الحاليّة، وانعكاس ذلك على تعلّمها لغة ثانية.

وأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، أنّ هذه التّحديات والعوامل الخارجيّة تمثّلت في الاحتلال الأجنبي، ونظام العولة الذين أثّرا سلبياً على صورة اللغة العربيّة ومكانتها الحاليّة ورؤية المتعلّم

الأجنبيّ لها، ممّا جعلنا نقترح حلولاً لجعل المتعلمين الأجانب يهتمون بها أكثر، فيزداد انتشارها عبر العالم، ويزداد شغفهم بها، بعد معرفة حقيقتها، في ظلّ هذه الهجمات، ومن ثمّ يسهل عليهم تعلّمها في ظلّ التطور السريع للتكنولوجيا، والتقنيات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: المؤثرات الخارجية؛ مكانة اللغة العربية؛ تعلّم؛ لغة ثانية؛ حلول مقترحة.

Abstract:

Arabic is a human language with distinctive qualities that make it very essential among worldwide languages, so many non-native speakers learners wish to study it for specific purposes. However, it has been subjected to external crises and attacks, as well as hurdles that have hampered its learning as a second language. This study intends to serve the Arabic language by identifying the most significant external problems it has experienced, which have had an impact on the construction of its current image and have reflected on its learning as a second language.

The most important findings of this study are that these challenges and external factors have been represented in the foreign occupation and globalization system, negatively affecting the image of the Arabic language and the foreign learner's vision. As a result, we have come up with methods to get foreign learners more interested in this language ,so that its spread around the world increases, and their passion for it increases-after knowing its truth-in light of these attacks, and develop easy ways to learn this language in light of rapid technological development and modern technology.

Keywords: External influences; the status of the Arabic language; learning; a second language; suggested solutions.

مقدمة:

إنّ موضوع اللغة بصفة عامة من الموضوعات التي شغلت بال وتفكير العلماء بمختلف تخصصاتهم، وذلك لأهميّتها ودورها العظيم في حياة الإنسان، هذا الكائن الوحيد الذي يختص بها وبمميزاتها ومكنوناتها. ولعل أشهر تعريف للغة هو ذلك الذي قدّمه أبو الفتح عثمان بن جني (ت 322هـ)، حيث قال في كتابه الخصائص في باب القول عن اللغة ما يأتي: «أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم» (ابن جني، 1952، ص: 33)، ومن أثرى اللغات الإنسانية ألفاظاً وأغناها اشتقاقاً: اللغة العربية هذه اللغة الخالدة التي اختارها الله جلّ جلاله وعاءاً لكتابه المعجز ألا وهو القرآن العظيم؛ لأنها أكمل اللغات ألفاظاً، وأوسعها مذهباً، وأعذبها منطقاً، وألينها دلالة (الصادق، 2006، ص: 31، 26) وتعرّف اللغة العربيّة بأنها لغة العرب الأقدمين، ولها مكانة مقدّسة، وأهمية بالغة، وعمر طويل، وقدرة على تمثّل الحضارات، واللغة التي يجتمع حولها الناطقون بالضاد في كلّ مكان، من العراق إلى المحيط الأطلنطي من قارتي آسيا وإفريقيا، ويتواصلون بها نطقاً وكتابة، وينقلون بها تراثهم الثقافي، ويكتبون بها آدابهم وفنونهم (محمد آ، 2006، ص: 6، 5) ولها قواعد وُضعت لضبط الحركات وحماية الألسن من الوقوع في الخطأ، كما تعدّ من أثرى اللغات الإنسانية، وأغناها حصيلة لفظيّة، وأكثرها انتشاراً (الصادق، 2006، ص: 36، 26) خاصة في القرون الأولى من الحضارة الإسلاميّة، وذلك في زمن قصير، إذ نتج عن ذلك نبوغ غير العرب في الأدب، والشعر، والتفسير وغيرها من العلوم (كاتبي، 2012، ص: 430) ومما يجب الإشارة إليه أنّ دوافع تعلّمها لغة ثانية اختلفت

باختلاف أهداف المتعلمين وأغراضهم وحاجاتهم منها، فمنهم من يتعلمها لغرض ديني، وبعضهم يدرسها لهدف سياسي، وآخر لسبب ثقافي علمي، وهناك لدوافع اقتصادية واجتماعية وغير ذلك (كاتبي، 2012، ص: 432) ولا ننسى أنّ انفرادها بمميزات لغوية جعلها كذلك هدفاً تعليمياً يسعى إليه الكثير من الأجانب، وأهم هذه الخصائص: الإعراب، والإيجاز، والمجاز، والكناية، الترادف والاشتقاق، والنّحت، ودقة التعبير (الصادق، 2006، صفحة 42، 43، 46، 47) والنّضاد، ومحاكاتها لأصوات الطبيعة، وتميّزها بأنواع عديدة من الخطوط كالخط الكوفي مثلاً،... إلخ، وقد عبّر عن مكانتها اللغوية ليس أهلها فحسب، بل امتد ذلك ليشمل الأجانب والمستشرقين الغربيين، ومن بينهم المستشرق الفرنسي أرنست رينان (Ernest Renan) (أنظر التعليق رقم: 1) إذ قال: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى، عند أمة من الرحل. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها» (فتحي، 2000، ص: 4).

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية للغة العربية بين اللغات العالمية، وما حقّقتها في المجال الفكري والحضاري، إلّا أنّها واجهت تحديات متعددة ومتنوعة، أبرزها التحديات الخارجية موضوع الدراسة، ممّا أثر على صورتها المستقبلية، ومكانتها وانتشارها، ومن ثمّ على تعلّمها لغة ثانية عند الأجانب، وهذا ما جعلنا نعرض الإشكالية الآتية: ما مدى تأثير التحديات والمشاكل الخارجية التي واجهت اللغة العربية على تعلّمها لغة ثانية بالنسبة لغير الناطقين بها؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية: ما هي أبرز هذه المؤثرات الخارجية؟ وماذا نقصد بتعلمها لغة ثانية؟ وما هي آثار هذه الطعنات والهجمات على تفكير المتعلم الأجنبي وعلى تعلمها لغة ثانية؟ أمّا بالنسبة إلى فرضية الدراسة فصياغتها كانت على النحو الآتي: التحديات الخارجية أثّرت تأثيراً سلبياً على اللغة العربية، إذ شوّهت صورتها وعرقلت انتشارها وهمشتها، الأمر الذي انعكس انعكاساً سلبياً على تعلمها لغة ثانية بالنسبة للأجانب.

وتسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف المتمثلة في:

خدمة اللغة العربية، وبذل الجهد لبيان أهميّتها ومحاولة نشرها والتعزيز من مكانتها، ثم معرفة أهم المشاكل الخارجية التي واجهتها، والتعرّف على آثارها عليها وعلى صورتها المستقبلية، وعلى تعلمها لغة ثانية، للحفاظ عليها وتطويرها، واقتراح حلول تواكب العصر ونشرها بمختلف الطرق، حتى يسهل على المتعلم الأجنبي تعلمها. على هذا الأساس كان المنهج المعتمد فيها هو المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه يتناسب وطبيعة الدراسة، فقد وصفنا الظاهرة كما هي في الواقع، ثم قمنا بتحليل المشكلة وإيجاد الطرق التي تسهل تعلم الأجنبي اللغة العربية وهكذا يزداد انتشارها، ولبلوغ الأهداف المرجوة سارت ورقتنا البحثية على الخطّة الآتية:

مقدمة.

أولاً: أبرز التحديات الخارجية للغة العربية.

ثانياً: آثارها على تعلم اللغة العربية لغة ثانية وكيفية مواجهتها والنّهوض بها.

وخاتمة ثم الهوامش ويليها قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: أبرز التحديات الخارجية للغة العربية:

يقصد بالتحديات الخارجية تلك العوامل والمؤثرات التي تتبع من خارج جسد الأمة العربية وخارج ذاتها أي مجموعة من العوامل المتأتبة من الخارج، التي حاولت القضاء على اللغة العربية، كونها تمثل الهوية العربية وأبرز مقوماتها، بعدة أشكال وفي عدة مرات، وتركت آثاراً عليها من عدة جوانب، وفيما يأتي عرض لأهمها:

1 - الحملات الاحتلالية:

لا ريب أن الاستعمار هو هيمنة سياسية توسيعية استكشافية وبدايته كانت قديمة، لكن الاحتلال الأوروبي للعالم تزامن مع بداية عصر النهضة، التي صحت فيه أوروبا صحواً فكرياً وسياسياً، فنهب الثروات وسيطر على الدول الضعيفة في جميع المجالات، ومما هو معلوم أن الوطن العربي شهد هذه المؤامرة الاستعمارية الأوروبية عندما ضعفت الدولة العثمانية، أي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وذلك لبلوغ أهدافه السياسية والدينية، والإقتصادية والسكانية والثقافية، ومن خططه أنه حاول مرات عدة طمس هوية الجمهور العربي وإعادة تشكيل منظومته الثقافية لجعله أكثر ارتباطاً به، وليس ثمة شك أن اللغة العربية من أوكد عناصر الهوية العربية والحافظ لها، وأهم أساس لفهم التشريع الإسلامي. وأسهل طريق لتخريب ذاتية الإنسان العربي ودفن ثقافته وإضعاف فهمه لدينه وشريعته وعروبته، ضرب لغته ومحوها وزحزحتها عن مكانها في الأرض العربية، بل في العقول العربية؛ لذلك تعدّ أهم هدف ثقافي يسعى

إليه لأنها وسيلته وأداته إلى أهدافه وتحقيق غاياته، وقاعدته في إبقاء سيطرته بغير جيش وعتاد عسكري، ومن السياسات التي اتبعتها المحتل الأجنبي، حتى تنسلخ الأمة العربية عن لغتها، فتسلخ عن كيانها وكيانيتها ما يأتي(فتحي، 2000، ص: 44، 59، 61، 144، 147):

- تعتمد إبطال التعامل بها في التعليم والإدارة، وحتى في الحديث العادي بين جماهير الشعب، وحمل لواء الدعوة إلى تفتيتها وتحويلها إلى أشلاء متناثرة، ما يسمى باللّهجات العامية، التي روجت إلى استعمالها من خلال دعوة العرب إلى اصطناع ألسنتهم المحلية ولغات قومية لهم، يسجلون بها كتاباتهم ونشاطهم العلمي، والأدبي، والفكري وهذا كله من أجل عزل العربية عن الحياة والبقاء لضمان موتها، حسب تقديرهم، بعد حين، وهذا التحفيز والتشجيع للكتابة باللّهجات العامية هدفه ضمني، يتمثل في فتح الطريق أمام اللغة الأجنبية لتحتل السيطرة والمركزية، ويتمّ التآليف بها في الأوساط العربية؛ لأنهم يدركون جيداً أنّ التعبير العلمي والفكري في الكتب والمؤلفات باللّهجات العامية أمر مستحيل واستمراره غير ممكن.

- فضلاً عن ذلك وسّع رقعة الفقر، والجهل، والامية، وضاعل فرص التعليم أمام عامة الناس وكلّ ذلك أمكن للعامية، ووسّع من رقعتها، ومدّ في مساحة استعمالها.

- تكوين طبقة غربية ومستغربة من خلال إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية مع فرض لغته على الدولة المحتلة، وجعلها اللغة الرسمية، وهكذا يعدّ التعليم باللغات الأجنبية فكرة

استعماريّة محضّة غرسها المحتلّ الأجنبيّ في أرضنا وثبّتها في عقولنا؛ ليفصلنا عن ماضيها ويحول بينها وبين تراثها، يقول فتحي جمعة: «وضع المحتلّ الأثيم بذورها، يوم احتلّ أرضنا وأخرج لغتنا من معاهد التعليم في مراحلها المختلفة؛ لتحلّ لغته محلّها، ثم مضى بعد أن تركنا في ضعفنا النفسيّ والحضاريّ المخجل، نتعهد له «بذوره»: نسقيها بأيدينا ونرعاهما بأنفسنا حتى أينعت وأثمرت وآتت أكلها؛ فأنحدرت الأمة كلها إلى دوامة التبعية الفكرية» (فتحي، 2000، ص: 63).

- محاربة الحرف العربيّ والخطّ من شأنه وطمس جماله ورونقه، والدعوة إلى العمل بالحرف اللاتيني بغية القضاء عليه (الصديق، 2006، ص: 95).
- العمل على إضعاف الكتابات التي يتعلّم فيها الأطفال العلوم الدينيّة واللّغوية، وجعلها مقصورة على أولاد الفقراء، أمّا أولاد الأغنياء فيدرسون في المدارس الأجنبية ويكون التدريس بلغة المحتلّ لكن بدرجة أقلّ ممّا يُدرّس في الغرب، وذلك بهدف تكوين طبقة تتعامل مع الأجنبيّ المحتلّ وتصبح غريبة عن أهلها (الجابر، 5/7 فيفري 2018، ص: 200).

نستنتج من كل ما سبق ذكره، أنّ الاحتلال الأجنبيّ كان من أكثر الظواهر السياسيّة تأثيراً على تشكيل الصّورة الحاليّة للغة العربيّة والأمة العربيّة من خلال تشويه وتهميش اللسان والانتساب العربيّين.

2 - نظام العولمة:

بعد الحرب الباردة عرف العالم بصفة عامة والوطن العربي بصفة خاصة نظام العولمة *Globalization* الذي كان متمحوراً على الجانب الإقتصادي، وفي الآونة الأخيرة برزت بشكل كبير ما يسمى بالعولمة الثقافية، التي تدعو إلى انتقال الأفكار والمعلومات سعياً لخلق نظم الإنتاج المدمجة العابرة للحدود والقوميات، وفيه تختلط الثقافات، ولا يكون فيه البقاء والمكانة إلّا للمتطوّرين القويين، الأكثر تعلّماً والأفضل أداءً (صالح، 2012، ص: 5) ولذلك، على الرغم من تحقيق الاستقلال السياسي والعسكري لأغلب البلدان العربية قبل نصف قرن أو نحوه، إلّا أنّ الاحتلال لم يمتّ، فهو موجود بشكل آخر أخطر منه، وهو الاحتلال العقلي والغزو الفكري، الذي يعدّ سيطرة وهيمنة غير مباشرة تستهدف هويّة الأمم الضعيفة وقيمها، وثقافتها ولغاتها ويستتبع هذا، التبعيّة الاقتصادية والاجتماعيّة، والثقافيّة واللغوية للدول التي تهيمن على العالم اقتصادياً، وسياسياً وعسكرياً، وبالتبعيّة يحدث تهميش وإزاحة اللغات والثقافات الأخرى (فتحي، 2000، ص: 68).

إنّ أهمّ سمة تختص بها العولمة أنّها «لا تعترف بالخصوصيات الثقافية أو اللغوية وهذه السمة لها، بدورها، تأثير مزدوج على اللغة: فهي، من ناحية، تضع اللغة في إطار النظرية العامة وتتنظر إلى اللغات الإنسانية بوصفها كلاً، وتتيح لنا أن ندرك القواسم المشتركة ومواضع الاختلاف والتباين بين اللغات. وعلى قدر قرب اللغة من هذا النموذج النظري تتخذ موقعها في إطار المعلوماتية» (محمد د، 2001، ص: 279، 280).

وفي ظلّ العولمة تتعرض اللغة العربيّة إلى حركة تهميش وإزاحة، بسبب طغيان اللغة الإنجليزيّة على المستويات الاقتصادية والثقافيّة

والعلمية وغيرها (محمد د، 2001، ص: 281) والدليل على هذا، ما تحمله شبكة الأنترنت من فيضان المعلومات المختلفة، تهيمن عليها اللغة الإنجليزية، فيؤدي هذا إلى ضرورة إجادتها لمن يرغب في الإفادة التامة بهذه الوسيلة، وهذا يساعد في نشر اللغة الإنجليزية، وخدمة غيرها من اللغات الغربية، وشيوع استعمال اللغة الإنجليزية في مختلف المواقف والتخصصات أدّى إلى إقصاء اللغة العربية إلى الاستعمال المحلي، وتقاعسها «عن التواصل مع الثقافات العالمية واتخاذ موقعها على خارطة المعلومات العالمية» (محمد د، 2001، ص: 281) بل هبوط استعمالها وتراجع التعامل بها حتى عند أبناء الأمة العربية.

إنّ مجمل تلك العوامل الخارجية والمزاعم الباطلة والادّعاءات الفارغة، شكّلت مردوداً قوياً سالباً على اللغة العربية وواقعها الحالي، ولنثبت أكثر درجة تأثيرها عليها سنوضح، بإذن الله تعالى، صورتها في ذهن الطالب الأجنبي وأثر ذلك على تفكيره ونفسيته وتعلّمه لها. ثانياً: آثارها على تعلّم اللغة العربية لغة ثانية والحلول المقترحة للنهوض بها:

1 -آثارها على تعلّم اللغة العربية لغة ثانية:

التعلّم في مفهومه هو عبارة عن سيرورة نشطة وبنائية، تشكّل تعديلات في بنية المعرفة، ويرتبط بشكل كبير بالممارسة الفعلية، ولا يحدث دفعة واحدة؛ لأنّه سيرورة تفاعلية تتم في مدّة متسلسلة، وتتمّر سيرورة التعلّم بثلاث مراحل: الأولى مرحلة الاتصال بالموضوع، أي زمن ما قبل التعلّم، ثمّ مرحلة التعلّم، وفي الأخير مرحلة قياس درجة التعلّم، والمتعلّم كذات هو شخصية مكوّنة من استعدادات وقدرات ذهنية،

ووجدانية، واجتماعية، وثقافية، توحى بإمكانيته الذاتية والمبادرة الشخصية (الكريم، 2006، ص: 69، 70، 71، 80). معنى هذا أن فعل التعلم إراديّ ينبع من استعداد الفرد ورغبته ومبادرته ومجهوده؛ ليكتسب في الأخير حرفة أو تصرفاً أو سلوكاً أو لغة بعد تكرار، وممارسة وخبرة، ولاشك أن الإنسان في صغره عندما يكتسب لغته الأولى من بيئته التي وُلد فيها يكون ذلك طبيعياً وفطرياً وغير إرادي ومن دون جهد، أما تعلم اللغة الثانية فيتطلب ذلك كل ما سبق ذكره، عن مفهوم التعلم، كما يجب أن يخضع تعلمها لمنهج مضبوط ومتكامل، له أهداف إجرائية تؤدي في الأخير إلى نمو ملموس في مهارات المتعلم وقدراته اللغوية، فهي اللغة التي يحصل فيها الاصطناع، وتتعلق بالمتعلم وبيئته وبلده الذي يتبناها، وحسب استعمال الفرد أو الجماعة لها لهدف معين (صالح، 2012، ص: 63، 65).

والعلم الذي يهتم بدراسة نظريات الاكتساب والتعلم، وتعليم اللغات هو علم اللغة التطبيقي أو ما يسمى باللسانيات التطبيقية، وهو حقل من حقول اللسانيات رأى النور عندما ظهر الاهتمام بمشاكل تعليم اللغات الحية للأجانب، وازدهار العلوم التطبيقية سنة 1946م، وهدفه هو دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها، كما يسعى إلى الكشف عن جوانب المعرفة الواعية باللغة، من أجل الأداء اللغوي الجيد، والاستفادة من مناهج اللسانيات ونتائج الدراسات ثم تطبيق ذلك في مواقف التعلم اللغوي (صالح، 2012، ص: 11).

وبناءً على ذلك، فإن موضوع تعلم اللغة العربية لغة ثانية يهتم به الباحثون في مجال اللسانيات التطبيقية، وكل عربي غيور على لغته

شغوف بها، هذه اللغة الشريفة التي يتكلم بها أكثر من مليار مسلم، التي تحقق لهذه الأمة - خير أمة أخرجت للناس - القوة والتقدم والطاقة والإنجاز؛ لأنها لغة العلم والفكر، وإدراك أعدائها أنها السبب في قوة شعبها وأمتها ونهضتهم، جعلهم يتعمدون إلى محاولات عديدة للطعن فيها ومحوها من الأرض والعقل، لذلك خططوا لتلك السياسات (الجابر، 5/7 فيفري 2018، ص: 200)، التي سبق ذكرها، ومن أخطرها: الترويج للعامة والدّرجة المحلية لتكون أداة للعلوم، والفنون والآداب، وقد سعوا بكل ما أوتوا من قوة إلى تحقيق ذلك؛ لتجسيد واقع أليم تتخبط فيه العربية وتتشعب، وتتوزع هجينة مستعجمة (الدين، 199، ص: 139)، فأصبح المواطن العربي يعيش في مستويات لغوية متباينة، ليست ثنائية بين العامة والفصحى، بل هي سداسية وسباعية، وحتى عشارية - على حدّ قول الدكتور فخر الدين قباوة - فالبيت له لهجته النّابعة من حيّه، والشّارع خليط من اللهجات المتداخلة من الأحياء الأخرى، والمدرسة معرض للهجات أخرى من البلاد العربية والأقطار الأجنبية (الدين، 199، ص: 74)، واستعمال العرب للعامة وتداولها في حياتهم وواقعهم جعلها «جداراً ضيقاً أمام المتعلمين» (منصور، 2018، ص: 222) بصفة عامة والمتعلمين الأجانب بصفة خاصة، فلو يأتي رجل من الغرب إلى البلاد العربية ليتعلّم اللغة الفصحى، نجده يقضي أعواماً، ثمّ يبقى، بعدئذ، غير قادر على الحديث الخالي من الأخطاء أو على القراءة الصحيحة أو الكتابة السليمة، على عكس العربي الذي إذا أراد أن يسافر إلى أيّ بلد أجنبيّ بغية استكمال دراسته، مثلاً، فنجدّه أتقن لغة ذلك البلد قراءة وكتابة، وحديثاً

واستطاع أن يحرر رسالته في الماجستير أو الدكتوراه من دون أخطاء لغوية (الدين، 199، ص: 109، 110)، وهذا الوضع الرديء للغة العربية أثر على تفكير الطالب الأجنبي ونفسيته مما جعله يصاب بالإحباط والتراجع، فكم من طالب وأستاذ وعالم جامعي غير عربي، تيسر له عام دراسي للتفرغ لتعلم اللغة العربية، فيختار بلداً عربياً ليتلقى عروبة اللغة صافية سائغة من اللحن والخطأ، فيتفاجأ، بعد أن يطوف تلك البلاد ويتعرف على أسواقها وميادينها ومجالسها العلمية والأدبية وحتى الجامعات والمعاهد، باستعمال العرب اللهجة المحلية والدارجة، فيصاب بنكسة وخيبة أمل وحسرة وقنوط آسفاً على ما ضيعه من جهد، وأسرفه من وقت، ومال (الدين، 199، ص: 76؛ كاتبي، 2012، ص: 435) ونحن لا نلومه في ذلك؛ لأنه لا يُعقل أن يتعلم الأجنبي لغة عربية نقيّة، وهو يسمع من الشارع المصري لفظ "طنط" (فتحي، 2000، ص: 38) لتدل على الخالة، ومن الشارع الجزائري مثلاً "واش راك" ليسأل عن حاله، ومن الشارع السعودي "والله لك وحشه" ليعبر عن اشتياقه، وغير ذلك من الشوارع العربية التي امتدت وانتشرت فيها العامية والدارجة في كل مكان، فكيف يقتنع الطالب الأجنبي بتعلم اللغة العربية وهي غير مستعملة في الوسط العربي؟ وقد بين الكثير من الأساتذة المستعربين في مختلف دول العالم أنّ اعتماد أهل اللغة العربية على العامية في الخطاب اليومي المتداول، التي هي من خطط الاستعمار ونتائجه، أثر على تفكير المتعلم الأجنبي لتعلم اللغة العربية، ومنهم الأستاذة ميرا سوفيتيتش رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها في كلية التربية الإسلامية في جامعة زينيتسا في دولة البوسنة والهرسك حيث قالت: «من الضروري

أيضاً أن نذكر أن وضع اللغة العربية الفصحى في الدول الناطقة بها يعدّ من أحد العوامل المهمة التي تؤثر على تدريس اللغة العربية في البوسنة والهرسك. وغالباً ما يؤثر هذا الوضع على قرار الطالب في دراسة اللغة العربية من عدمه، وحتى يؤثر على قرار الوالدين عند اختيار هذه اللغة لأطفالهم في المدرسة الابتدائية. وغالباً ما يتعرض أساتذة اللغة العربية للعديد من الأسئلة حول مبررات تعلم اللغة العربية الفصحى في واقع عربي لا يستخدمها في التواصل اليومي»(ناصر، 2019، ص: 302).

كما أنّ الهيمنة اللغوية للغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية والفرنسية، والألمانية، والصينية، التابعة من هيمنة القوى العظمى في العالم ومن تعسّف الاستعمار ومن نظام العولة، أثّرت تأثيراً سلبياً على صورة اللغة العربية وعرقلة غير الناطق بها على تعلّمها، فعلى سبيل المثال السياسات الاستعمارية في ساحل الذهب شجّعت الطلاب على تعلّم اللغة الإنجليزية، وحولت المتّقف باللغة العربية إلى أميّ بمفهوم قاموسها الاستعماري، الذي دخل البلاد بعد دخول العربية، كما عمد إلى تنفيذ سياسات هدفت إلى عرقلة اللغة العربية في التّعليم، على الرغم من اجتهادات الرّاغبين في تعلّمها، من بينهم إمام كتب رسالة إلى مدير التّعليم في أكرا يطلب فيها من حكومة الاستعمار رخصة لاستيراد ثمانين كتاباً بعنوانين مختلفة من مصر لتعليم العربية في البلد، فكان ردّه أنّه لم يستطع استيراد كتب باللغة العربية لأغراض تعليميّة؛ لأنّه ليس هناك اعتبار تعليمي لأيّ كتب عربية في ساحل الذهب، والوسائط التّعليميّة هي اللّغات المحليّة والإنجليزية فقط (ناصر، 2019، ص: 261)، وهذا الأمر يوضّح سياسة الاستعمار الذي

فرض لغته بالقوة، وجعل لها مكانة واعتباراً في البلد المستعمر، وهذا من دون شك ينعكس على تعلّم اللغة العربية على الرغم من رغبة طلاب هذا البلد في تعلّمها، كونها لغة كتابنا المقدّس القرآن الكريم، فإقبال الدارسين على تعلّم لغة المستعمر والتحدّث بها وتداولها في الأماكن والمحافل ينعكس على تعلّم اللغة العربية سلبيّاً، على الرغم من حبهم لها، إذ يقلّ عدد المتحدّثين بها في البلد الأجنبي، ولا يجد الدارس الرّاغب في تعلّمها مع من يتحدّث معه بالعربية، ومعلوم أنّ آية لغة تنمو وتتطوّر عند متعلميها، بالتّداول والاستعمال تحدّثاً وكتابة (ناصر، 2019، ص: 279)، وهذا كلّ يجعل الطالب غير العربيّ يصاب بخيبة أمل ومعاناة وقد يتراجع عن تعلّمها وتقتص رغبته بها.

ومما ساهم، كذلك، في عرقلة انتشارها وتعلّمها لغة ثانية هو تلك النظرة الدونية لها، بسبب المؤثرات الخارجية، إذ أصبحت تُرى على أنّها الأقلّ شأنًا، والأقلّ جدارة بالاهتمام، ممّا زيد من جهلهم بها، وبمكانيّاتها وبدورها في البناء الحضاري، وقلّ احترامهم لها، وضعف حماسهم لتعلّمها، وسعيهم لتطويرها (محمد أ، 2006، ص: 47، 48)، خاصة وأنّ الأمر رافق التّكنولوجيا ووسائل الاتّصال التي تعتمد، بكلّ مكوناتها، على اللغة الإنجليزية، لذا اتّجهت الأجيال، حتّى أهلها والنّاطقون بها، إلى محاولة تعلّم اللّغات المهيمنة والابتعاد عن العربية (منصور، 2018، ص: 222) فبعض أفراد المجتمع التّيجيري مثلاً أصبحوا ينظرون إلى أهل لغة الضاد نظرة احتقارية، بسبب الهيمنة اللغوية للغة الانجليزية، فالمتقفون بثقافة عربيّة إذا لم يكونوا على درجة من الثقافة الإنجليزية ليس لهم الحظّ في حضور معتبر في السّاحة

العلمية في نيجيريا مهما كانت لهم كفاءة عالية في تخصصهم (ناصر، 2019، ص: 112)، والأكثر من ذلك أن كثيراً من ألفاظ اللغة الأجنبية تسربت إلى لغة الجمهور العربي، فضعفت ثقتهم بأنفسهم، وبقدرة هذه اللغة الخالدة، بإذن الله تعالى، على الوفاء بمتطلبات الحياة ومستلزمات الحضارة الحديثة (محمد أ، 2006، ص: 48).

ونجاح الاستعمار وبعده نظام العولمة في إضعاف العرب بأنفسهم وإغراق اللغة العربية بكثير من الألفاظ الأجنبية لتفتت اللغة الفصيحة يؤثر من دون شك في الدارس الأجنبي، لأنه عندما يرانا نكتب ونتكلم بألفاظ أجنبية كالباص و التلفون مثلاً، يترسخ شعور عنده أن اللغة الأجنبية فعلاً هي لغة العلم والحضارة والعصر والبحث والتطور، وهي التي تعكس رقي المتكلم وتحضر المجتمع، واهتمام أبناء الوطن العربي بها على حساب لغتهم (كاتبي، 2012، ص: 436) (أنظر التعليق رقم: 2)، ونظرتهم الاستعلائية لها جعلتهم يحرصون على تعليم أبنائهم وأطفالهم اللغة الأجنبية في جميع مراحل حياتهم الدراسية وجعلها وعاء يستمد منها المعارف والعلوم، وهكذا تترسخ في ذهن هذا الطفل العربي نظرة الازدراء والكراهية للغته لا نظرة احترام وحرص وعناية؛ لأنه لو تعلمها دون الإنجليزية أو الفرنسية ستكون عبئاً عليه وعائقاً لمسيرته (منصور، 2018، ص: 222)، وإذا كانت نظرة هذا الطفل، رجل المستقبل للأمة العربية، احتقارية ودونية للغته، لغة دينه وأهله وأجداده ووطنه، فكيف نتعجب من نظرة المتعلم الأجنبي لها؟ ولماذا نستفسر عن تراجع رغبة بعض المتعلمين في تعلمها؟ خاصة وأن «كل علم لا تتوفر فيه دوافع لتعلمه يضعف ويتراجع» (ناصر، 2019، ص: 167)، وكيف

نقنعهم بتعلّم لغتنا في زمن نظام العولمة التي سعت إلى إثبات أن اللغة الإنجليزية لغة العلم والثقافة وكسب المال؟ لذلك يرى الدكتور فوزي محمد بارو، نائب مدير مركز البحوث والنشر بجامعة السميّط الصومال أنّ مستقبل اللغة العربيّة في الصومال يسير في نفق مظلم وأمامه عدّة عقبات، حسب تجربته، لأن هناك هجمات شرسة عليها أدّت إلى ميل الناشئة الصوماليّة إلى تعلّم اللغات الأجنبية، نظراً لمتطلبات الشارع العام، وسوق العمل وإعطاء فرص العمل أكثر للمتعلّمين لها (ربيع، 2018، ص: 283).

إنّ استعراضنا لهذه المؤثرات الخارجية يوضّح لنا - بنسبة معيّنة - مدى الطعن الذي تعرّضت له العربيّة وخطورة الأمر والأزمة التي تواجهها، والصورة النمطية التي فرضت عليها، ممّا أثر تأثيراً سلبياً على تعلّمها للأجانب بل حتى مكانتها عند الناطقين بها، لكن يجدر بنا أن نشير إلى قضية مهمّة، وهي أنّ هذه التحديات على الرغم من سلبياتها العميقة، إلّا أنّ الأمر انعكس لصالح اللغة العربيّة، إلى حدّ ما، فالهجمات الاستعمارية على البلاد العربيّة، أدّت إلى هجرة المسلمين والعرب، خاصة سكان شمال إفريقيا، إلى أوروبا للعيش والاستقرار فيها، واختلاطهم بالأوروبيين ساهم بشكل ما إلى تشكيل صورة جديدة عن الأمة العربيّة بصفة عامة، واللغة العربيّة بصفة خاصة، وهذا من دون شك له أثر إيجابي في انتعاشها ومعرفة حقيقتها، وبالتالي الرّغبة في تعلّمها لغة ثانية. كما لا ننسى أنّ نظام العولمة وتطور وسائل الاتّصالات والتّكنولوجيا، كذلك له جانب إيجابي في بيان حقيقتها والتّعريف بها ونشرها، وهكذا نستنتج أنّ

هذه التحديات الخارجية خلّفت لنا آثاراً سلبية وإيجابية، لكن نتائجها السلبية طغت على إيجابيتها، حسب رأينا، مما وجب علينا وعلى كل مهتم بمستقبل اللغة العربية اقتراح حلول معيّنة وتطبيقها على أرض الواقع لمواجهة الأمر.

2 -الحلول المقترحة:

إن واقع وتعليم اللغة العربية بصفة عامة ولغير الناطقين بها بصفة خاصة لا بد أن ينطلق من تصوّر واضح، وخطط مدروسة ومناهج واعية دقيقة(ناصر، 2019، ص: 208،209) وأنّ علاج هذا المأزق والاضطراب يتطلب جهداً كبيراً وتفكيراً عميقاً وتكاتفاً من قبل أبناء الأمة العربية، وإيماناً منا أنّ لكلّ داء دواء، يجب أن نقف وقفة رجل واحد من أجل مواجهة هذه العواصف بجميع الوسائل، والوعي بخطورة الأمر، والبدء بالمعالجة الفورية والضرورية لحالها من الدّاخل والخارج، وعلى هذا الأساس نقترح الحلول الآتية:

✓ تكثيف الجهود العربية من خلال إنشاء معاهد في البلاد العربية، وبينها الجزائر، تهتم بتدريس اللغة العربية للأعاجم من قبل أساتذة متخصصين في هذا المجال، والعناية الشاملة بهذا الموضوع في الجامعات العربية، وتشجيع الطلبة بالبحث فيه ودراسته من جميع الجوانب، وتأليف كتب ومقالات وعقد مؤتمرات بين مختلف الدول، تعرض مواضيع حول كيفية تنمية اللغة العربية، وتعليمها لغة ثانية، وتطويرها بكل الطرق والوسائل، والتعاون بين البلدان التي تهتم بها لمسيرة التطورات والتغيرات، ومواجهة التحديات، والتخطيط لجعلها منتشرة في جميع أرجاء العالم.

✓ ضرورة العودة إلى استعمال لغة فصيحة، على الأقل، في الشارع العربي، حتّى وإن كان أمراً صعباً لكنّه ليس مستحيلاً، وذلك بمساعدة وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية، والقنوات التلفزيونيّة، وعرض برامج تبيّن مكانة اللّغة العربيّة، وكيفية اهتمام العرب الأوائل بها، وضرورة الاعتزاز بها والدّفاع عنها، والتّعزيز من قيمتها، وصورتها عند الآخر التي من بين عوامل تكوّنها استعمالنا للعامة والدّارجة في خطاباتنا اليومية.

✓ العمل على عقد مسابقات دولية وعالمية خاصة بمتعلّمي اللّغة العربيّة لغة ثانية في مستويات مختلفة، وتقديم جوائز مادية للفائزين.

✓ مواكبة العصر والاستفادة من الحاسوب والتّكنولوجيا والتّقنيات الحديثة في تعليمها، والاعتماد على وسائل التّواصل الاجتماعي في نشرها، والإكثار من إنشاء مواقع ومنصات إلكترونية، وصفحات فايسبوكية خاصة بتعليم العربيّة لغير الناطقين بها، لبيان حقيقتها ومميزاتها الفذة، ونشر الثقافة العربيّة، وتسهيل تعليمها وتعلّمها، فبرامج الحاسوب بإمكانها أن تؤدي دوراً كبيراً في تسهيل تنمية المهارات اللغوية، خاصة الكلام، لدى الدّارسين الأجانب سواءً عن طريق التّعليم عن بعد أم التعلّم الذاتي، إذ إنّ البرامج نفسها إذا كانت ناطقة، والدّارس يعطى له فرصة أن ينطق مع البرنامج ويسجّل ويشغل وبعدها يقوم النّظام المبرمج بتقويم الأصوات والقواعد والأساليب تلقائياً، فيوفر للمتعلم التّغذية الرّاجعة المباشرة بالصوت والكتابة على الشّاشة، ومثل هذه

النشاطات يستطيع الطالب تكرارها دون حد، حتى يقتنع من مستواه اللغوي وأدائه في الكلام، كما يمكن في الأخير أن يختبره أستاذ متخصص ويوجهه للأحسن (ناصر، 2019، ص: 208، 209).

ومما يجب الإشارة إليه أنّ حوسبة اللغة العربية هو ميدان تهتم به اللسانيات الحاسوبية ويجب علينا الاهتمام به أكثر، والاعتماد عليه، كذلك، في ضمان مكانة اللغة العربية في عالم التكنولوجيا والحواسيب الآلية، حتى تلحق درجة هيمنة اللغات الأجنبية وسيطرتها ونفوذها وانتشارها، ويكون لها شأن بينهم.

خاتمة:

إنّ تنظيمنا لهذه الدراسة باستعمال المنهج الوصفي التحليلي، هو في الأخير لبلوغ الهدف المتمثل في خدمة اللغة العربية، ومواجهة عراقيلها ومحاولة نشرها عبر العالم، وقد خلصت الباحثة بعد دراستها لهذا الموضوع إلى النتائج الآتية:

- للغة العربية مكانة عظيمة فقد حباها الله أن تكون اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، ولها مميزات فذة جعلتها تصمد أمام عوائق وتحديات مختلفة ومنذ زمن طويل.
- اللغة العربية هي أهم ركن ومقوم يقوم عليه البلد العربي، وقوتها أو ضعفها يعكس حال أهلها المتكلمين بها، وضربها هو استهداف للأمة العربية وحضارتها وتاريخها.
- التحديات الخارجية المتمثلة في الاستعمار والعولمة كان لها أثر سلبيّ ووخيم على الواقع الحالي للغة العربية، ممّا شوّه

صورتها وجعلها تظهر، زوراً وبهتاناً، عاجزة وضعيفة، فانعكس على رغبة المتعلمين الأجانب لها، وما يجب الإقرار به أن احتضان بعض أبنائها للغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الأجنبية بصفة عامة وإهمالهم لها، وتقليدهم الأعمى للغرب إيماناً منهم أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، ساهم بشكل مباشر في هذا الضعف وفي تردي واقعها، ومن هنا نخلص أن معاناة اللغة العربية سببها داخلي وخارجي، ونعتقد أن الخارجي هو العامل الرئيس في تشكّل وضعها الراهن وتآزمه.

- سعي الاستعمار بجميع وسائله إلى محو اللغة العربية، ورفع لغته وفرضها بالقوة على البلد المحتل، جعل الطلاب الأجانب الراغبين في ممارستها يعانون عدّة صعوبات.
- طغيان المادة وربط مفهوم الحياة بالكسب المالي، ساهم كذلك في عرقلة انتشارها؛ لأنّ فرص العمل في مختلف الأماكن تعتمد على اللغة الإنجليزية.
- هذان العاملان كان لهما تأثير إيجابي في معرفة حقيقة الأمة العربية ونشر لغتنا الحبيبة، لكن ليس بدرجة الفعالية السلبية، مما جعلنا نقترح حلولاً متعدّدة تواكب العصر وتكنولوجيا. ونحن نتفاءل بمستقبل أفضل وانتشار أسرع لها؛ لأننا مطمئنون كلّ الاطمئنان أنّها لن تموت، وهي خالدة ومحفوظة بحفظ القرآن الكريم الذي نزل بها، وواثقون كلّ الثقة بتحقيق وعد الله بحفظ كتابه العظيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: الآية: 9).

التعليقات:

1. رينان أرنست (1823م/1892م)، هو مؤرخ وفيلسوف ومستشرق فرنسي، عانى أزمة إيمان وارتد عن عقيدته الكاثوليكية، وتميّز بنزعته العقلية، واهتمامه بالعلم والفكر، زار بعض البلدان العربية كلبنان وفلسطين، لمهمة أثرية، وبعدها ألّف كتابه المشهور "حياة يسوع" (منير، 1992، ص: 217).
2. ونحن مع تعلّم اللغات الأجنبية في الوطن العربي والاهتمام بها، لكن ليس على حساب لغتنا وحضارتنا وثقافتنا، فلا ضرر ولا ضرار، ويجب إزالة الضرر سواء حدث بقصد أو من دون ذلك، ولذلك دعا الدكتور فتحي جمعة إلى تعليم اللغات لا إلى التعلّم باللغات، والفرق بينهما واسع (فتحي، 2000، ص: 67، 68).

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش.

- 1 - أبو الفتح عثمان ابن جني، (1952). الخصائص (الجزء 2)، ط2. القاهرة، مصر: دار الكتب المصرية.
- 2 - البعلبكي منير، (1992). معجم أعلام المورد، ط1. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- 3 - بلعيد صالح، (2012). دروس في اللسانيات التطبيقية، ط7. الجزائر: دار هومة.
- 4 - الجبر بدير بن ناصر، (2019). كيف نشرت اللغة العربية (تجارب لأعلام من المختصين الناطقين بغيرها في أوروبا وإفريقيا)، ط1. المملكة العربية السعودية: دار وجوه للنشر والتوزيع.
- 5 - جمعة فتحي، (2000). اللغة الباسلة، ط5. مصر: دار النصر.
- 6 - الحلواني محمد عبد الجابر، (2018). «الغزو الفكري وأثره على اللغة العربية بالهند». ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي العاشر حول مناهج تدريس اللغة العربية، قسم اللغة العربية جامعة كيرالا، 7/5 فيفري 2018، كيرالا - الهند: د، دن.

- 7 - خزنة كاتبي هاديا، (2012). «اللغة العربية كلغة ثانية والتحديات التي تواجه دارسيها الأجانب». مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، المجلد 28 العدد الثاني، ص 425 ص 455.
- 8 - داود محمد محمد، (2001). العربية وعلم اللغة الحديث، (د، ط). القاهرة، مصر: دار غريب.
- 9 - الزواوي خالد محمد، (2006). اكتساب وتنمية اللغة، (د، ط). مصر: مؤسسة حورس الدولية.
- 10 - الصديق محمد صالح، (2006). العربية لغة العلم والحضارة، (د، ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 11 - العمري حسين منصور، (2018). «المؤثرات على تدريس اللغة العربية الأردن أنموذجا». ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي العاشر حول مناهج تدريس اللغة العربية، قسم اللغة العربية جامعة كيرالا، 7/5 فيفري 2018، كيرالا - الهند: د، دن.
- 12 - غريب عبد الكريم، (2006). المنهل التربوي، ط1. الرباط، المغرب: منشورات عالم التربية.
- 13 - قباوة فخر الدين، (1999). المهارات اللغوية وعروبة اللسان، ط1. دمشق، سوريا: دار الفكر.
- 14 - محمد ربيع أروى، (2018). «العوامل المؤثرة في تدريس اللغة العربية». ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الدولي العاشر حول مناهج تدريس اللغة العربية، قسم اللغة العربية جامعة كيرالا، 7/5 فيفري 2018، كيرالا - الهند: د، دن.

